بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من يتأمل كتاب الله تعالى، ويتدبر الآيات الواردة في قصص الأنبياء مع أقوامهم، يرى أن من الخطابات التي تتابعت عليها ألسنة الرسل، واتفقت عليها دعوتهم، التذكير بنِعَم الله المتنوعة في جوانب الحياة المختلفة، وكيف كانوا؟ وإلى أين وصلوا؟ والتنبيه على ما كانوا عليه في سالف زمانهم، وما هم عليه من خير في واقع حالهم.

فها هو نبي الله هود عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول لقومه: ﴿فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف :٦٩]، وهذا صالح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يعظ قومه فيقول: ﴿فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف :٧٤]، وموسى ﷺ يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة :٢٠].

والحكمة في هذا ظاهرة؛ فإن تَذكُّر نِعَم الله والتذكير بها على اختلافها، وتفاوتها، وتنوعها، يدعو إلى محبة الله تعالى، ويرقق القلب، ويوقظ فيه الحياء من الرب جلَّ جلاله، وينشِّط النفس على الإقبال على الله، ويبعث فيها الرغبة في طاعته، والانقياد له، والتذلل له، ورعاية شكره على توالي نِعَمه، والحفاظ عليها.

كما أن تذَكُّر النعم والتذكير بها يكسر النفوس، ويمنعها من التعالي أو التفاخر بها على الآخرين، ويحجزها عن سوء استخدام نِعَم الله وعطاياه فيما يبغضه ويسخطه، ويحثها على الاعتبار بمَنْ قد أعطاهم الله النِّعم فهلكوا؛ إذ لم يعرفوا نعمة الله عليهم، ولم يقوموا بحَقِّها، بل إن تذكرها يحَرِّك القلوب ويدفعها إلى إعانة الضعفاء والمحتاجين، والوقوف بجانبهم في أزماتهم، والعمل على رفع الآفات وإزالة الأضرار النازلة بهم، إلى غير ذلك من العوائد النافعة، والآثار المباركة لتذَكُّر النعم وتذكير الآخرين بها.

وعلى هذا المنهاج القرآني سار زايد الخير رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في حياته، وأثناء

رئاسته لدولة الإمارات العربية المتحدة -حرسها الله-؛ فإنه ما فَتِئ يُذكِّر شعبه بنِعَم الله عليهم من حينٍ لآخر، كلما جاءت مناسبة، أو أُتيحَت فرصة، أو تهيأ لقاء، أو أُقيم اجتماع..

وهذا من دلائل حرصه، وتمام إدراكه لضرورة بث الوعي بهذا الأصل الشرعي في الناس، ولِبُعد نظره بأهمية هذا التذكير المتتابع وفائدته في ضبط النفس وصونها عن العبث بنعم الله تعالى، وقوة أثره في العناية بها، واستعمالها فيما يعود على الوطن والمواطن بالنفع، وبذل الجهد في الحِفاظ على ما منَّ الله على هذه البلاد من الخيرات المتعددة التي ما كانت تخطر ببال أحد من الأجيال السابقة.

فمن توجيهه النافع، وتذكيره المبارك في هذا الصَّدَد قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «على شعبنا أن لا ينسى ماضيه وأسلافه، كيف عاشوا؟ وعلى ماذا اعتمدوا في حياتهم؟ وكلما أحس الناس بماضيهم أكثر، وعرفوا تراثهم، أصبحوا أكثر اهتمامًا ببلادهم، وأكثر استعدادًا للدفاع عنها» وقال -غفر الله له- في نصيحة أبوية للجيل الحاضر الذي قد تغيب عنه المعاناة التي عاشها الآباء، وذاق مرارتها الأجداد: «إن الجيل الجديد يجب أن يعرف كم قاسى الجيل الذي سبقه؛ لأن ذلك يزيده صلابة، وصبراً، وجهادًا لمواصلة المسيرة التي بدأها الآباء والأجداد» وقال أيضاً -وسَّع الله عليه قبره-: «إن على الأبناء معرفة ما عاناه الأجداد، وما صنعوه رُغم قلة الإمكانيات المتاحة؛ حتى يضاعف الأبناء من عملهم وإنتاجهم، ويطوروا ما قام به أسلافهم» وقال -رفع الله درجته-: «وعلى أبناء الدولة أن يتذكروا دائماً، كيف كُنَّا؟ وكيف أصبحنا؟» وقال -جعل الله روحه في عليين-: «إن الثروة التي تزداد كل يوم، وآبار البترول تنفجر، وتحمل معها مزيدًا من نِعَم الله التي يهبها لشعب الإمارات العربية المتحدة..».

وهذه التذكيرات المليئة نصحاً وشَفَقةً فيها عبرة لكل من يعيش على أرض هذه البلاد الخَيِّرة؛ فإنها تعكس نفسية هذا القائد الموفق،

والحاكم الناصح الذي بذل نِعَم الله على هذه الدولة لإصلاح البلاد، وتطويرها، والرقِيِّ بها، ورفع المستوى العلمي، والصحي. والاجتماعي، والمعيشي لكل منتسب إلى هذه الدولة.

فقد عرف رَحِمَهُ اللَّهُ نعمة الله عليه، واستشعر فضل الله على هذه الدولة ولطفه بها، فلم يغتر بهذه النعم أو يستأثر بها دون رعيته، أو ينسى ما كان عليه هو وأسلافه من الشدة، وضيق العيش، ومواجهة متطلبات الحياة الصعبة في الماضي؛ لهذا قال رَحِمَهُ اللَّهُ وأسكنه الجنة: «إذا كان الله عزّ وجل قد مَنَّ علينا بالثروة؛ فإن أول ما نلتزم به أن نُوجِّه هذه الثروة لإصلاح البلاد، ولِسَوْق الخير إلى شعبها».

وختاماً؛ فإنه حريٌّ بكل مُحِبّ لدينه، ساع في رضى ربه، صادق في عبودية خالقه، ناصح لولاة أمره، جادٍّ في الارتقاء بوطنه، أن يَعقِل هذه التوجيهات وأمثالها من الوالد الراحل، والرئيس المُسَدَّد زايد بن سلطان؛ فإنها بمنزلة الوصايا لشعبه، وحَقُّ الوصية أن تُصان وتُحفَظ؛ والاهتمام بهذه التوجيهات وتطبيقها جزء من الإحسان إلى زايد الخير وهو في قبره.

وما أجملَ أن نتواصى بهذه الكلمات الطيبات، ونستحضرَ فضل الله ونِعمَه علينا في كل وقت، وعلى كل حال، وأن نغرس هذه الثقافة ـ ثقافة معرفة النعمة واحترامها ـ في نفوس أبنائنا، وننشرها في مجتمعنا، وعوداً على بدءٍ أقول: متى عرف المرء نِعَم الله عليه قدَّرَها، فإذا قدرها أدام ذِكرَها وحافظ عليها، فأدى ذلك إلى زيادتها والبركة فيها، ولا يتردد اللسان عندها أن يلهَجَ بالدعاء الوارد عن رسول الله ﷺ في قوله: « اللّهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحَوّلِ عافيتك، وفُجاءَةِ نقمتك، وجميع سخطك » [رواه أبوداود، والبخاري في الأدب المفرد].

فرحم الله الشيخ زايد، وجزاه خيرًا على ما أسداه من نصح، وإرشاد، وتذكير، وتوجيه، ونَفَعَ بكلماته، وجعل لها القبول بين عباده، إنه سبحانه خير مسؤول، والحمد لله رب العالمين.

من قيم زايد (٣)

إعداد
يوسف بن حسن الحمادي

@Baynoonanet
baynoona.net